مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١ مكتبة الأسرة

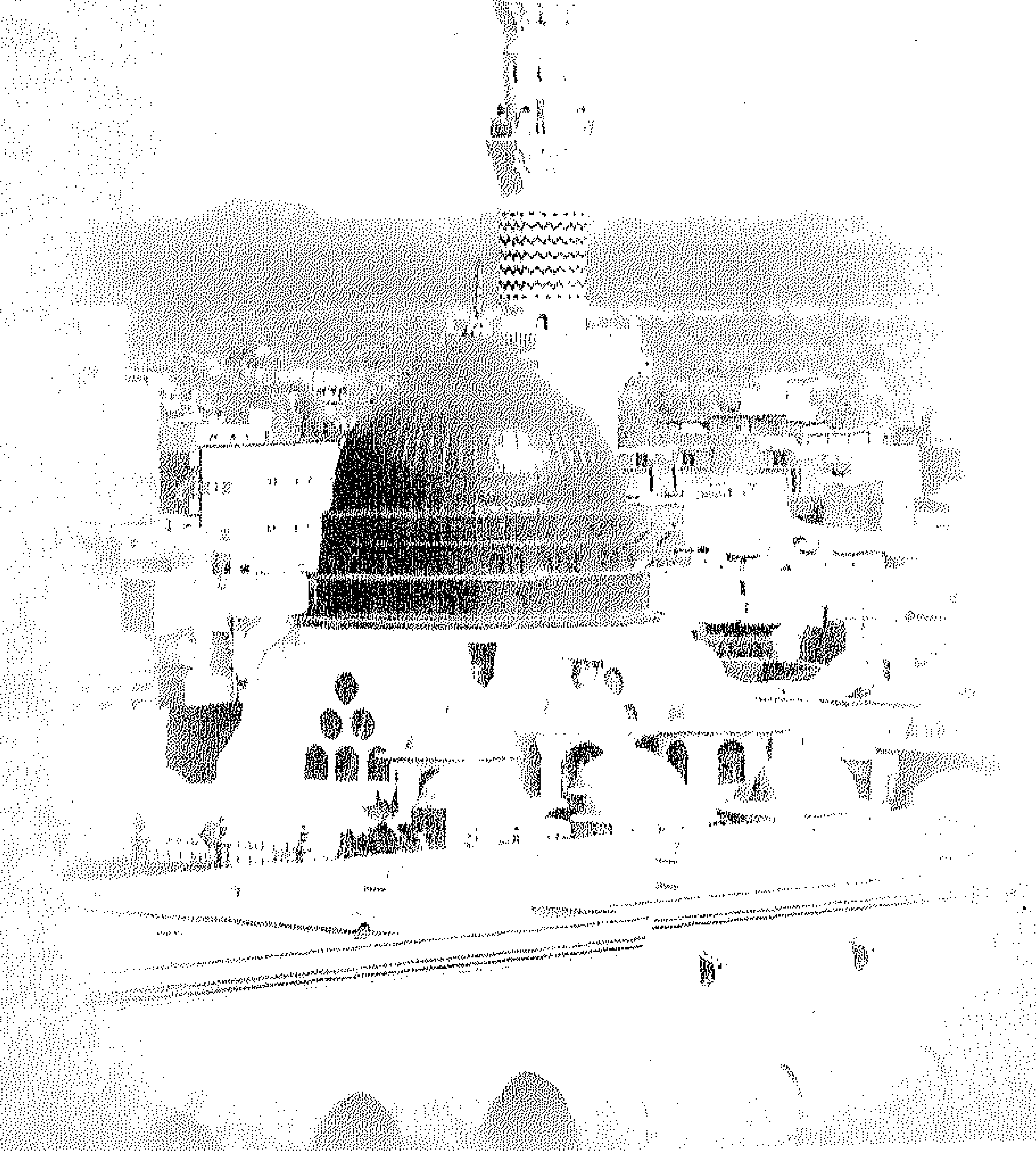
د. أحمد شلبى

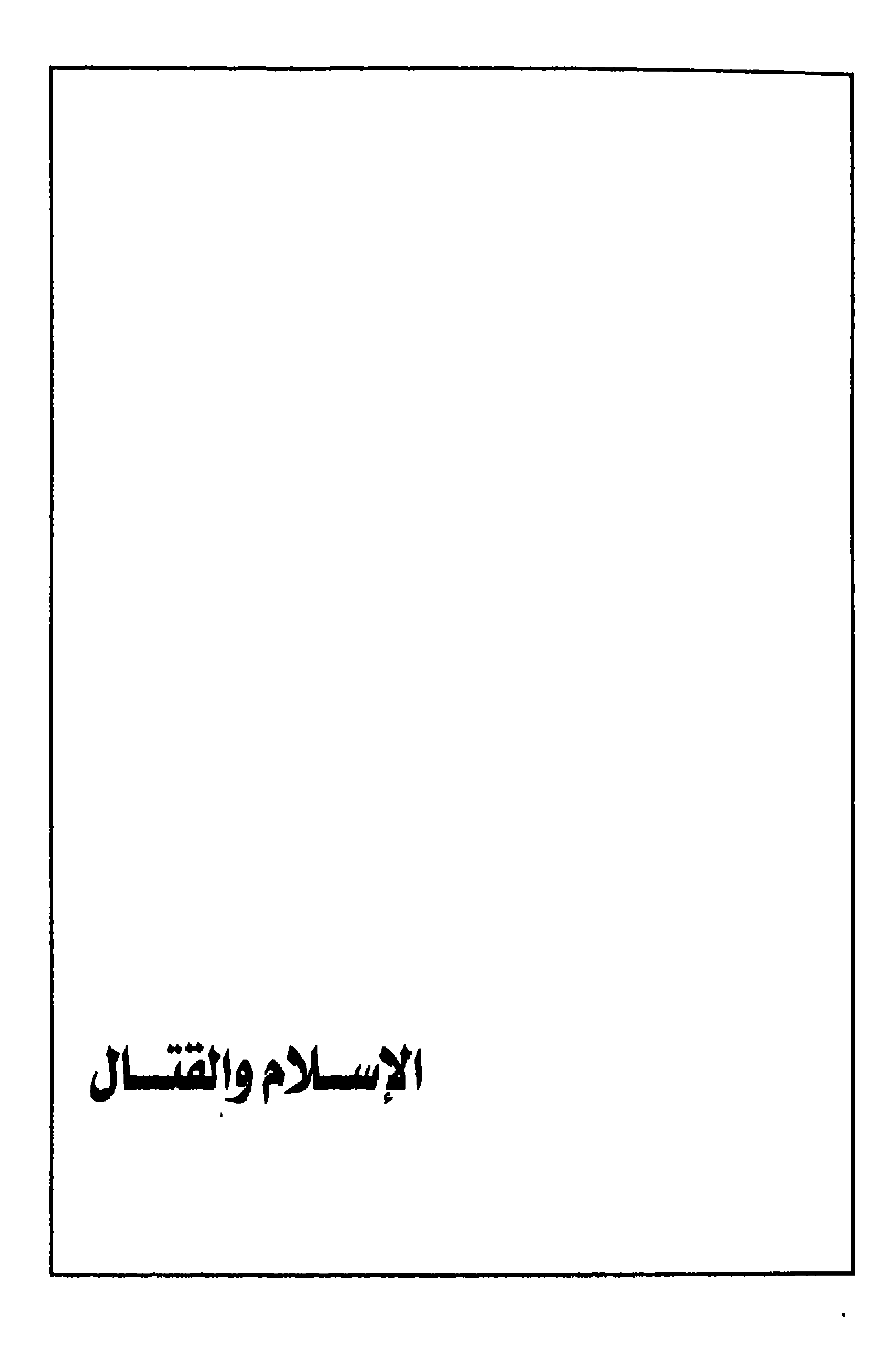
من السيرة النبوية العطرة

الجزء الثالث عشر

الإسلام والقتال

الأعمال الدينية





الإسـلام والقتـال

من السيرة النبوية العطرة

(١٣)

الإسلام والقتال

- هل انتشر الإسلام بالقوة أو بالدعوة
- غزوة بدر ودراسات جديدة عنها

د. أحمد شلبى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الدينية)
من السيرة النبوية العطرة (١٣)

الإسلام والقتال
ـ هل انتشر الإسلام بالقوة أو بالدعوة
ـ غزوة بدر ودراسات جديدة عنها
د. أحمد شلبى

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
صبرى عبد الواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء) .. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان

الإسلامُ والقِتال

حَدَثَتْ حُروبٌ بينَ المسلمينَ وغيرِهم فى عَهْدِ الرَّسولِ وبَعْدَ عَهْدِ الرسولِ ، و يَتَّخِذُ أعداءُ الإسلامِ هذه الحروبَ وَسِيلةً ليدَّعُوا أنَّ الإسلامَ انْتَشَرَ بالقُوَّةِ ، ولذلك فإناً نَشْرَحُ فى هذِه الدراسةِ موضُوعَيْن مُهِمَّيْن هما :

أولا : طريقةُ انْتِشارِ الإسلامِ .

ثانيا : أسْبابُ الحروبِ بيْنَ المسلمين وغَيرِهم .

طريقةُ انتشارِ الإسلام

يُنَظِّمُ القرآنُ الكريمُ طريقةَ الدَّعوةِ للإسلامِ بأنْ تكونَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَة الحَسَنَةِ ، وألاَّ يكونَ بها أىُّ لَوْنٍ من ألْوَانِ الإكْرَاهِ ، قال تعالى :

ـ لاَ إِكْرَاهَ فى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ .

(سورة البقرة الآية ٢٥)

ـ ادْعُ إلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَة .

(سورة النحل الآية ١٢٥)

ـ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ .

(سورة الكافرون الآية السادسة)

ـ فَإِنَّماَ عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وعَلَيْناَ الحِسَابُ .

(سورة النحل الآية ١٢٤)

ـ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ .

(سورة الغاشية الآيتان ٢١ ـ ٢٢)

وإذَا ذَهَبْنَا إلى التاريخ والواقع فإننا نَجِدُ بِوضُوحٍ أنَّ الإسلاَم سَلَكَ طريقَه بالدَّعْوَةِ مُتَّبعاً هذه الآيات البَيِّناتِ ، وإلى القارىء بَيانُ ذلك :

١ ـ حِينما كانَ الرسولُ فى مَكَّةَ ، وحينما بَدأَ دَعْوَته وحيداً لاسِلاَحَ معه ولا مَال ، دَخلَهَا مَجموعةٌ من عُظماءِ الرِّجالِ منْ أمْثَالِ أبِي بَكْرٍ وعُثمانَ وسعد بن أبى وَقَّاص وطَلْحَةَ والزُّبَيْرِ ثم عُمَرَ بنِ الخَطَّاب وحَمزةَ بن عبد المطلب ..... فهل يُمكن أن نَقول إن هؤلاءِ دَخلُوا بالقُوَّةِ ؟ وأينَ القُوَّةُ فى ذلك الوقتِ ؟ .

وعن مُسْلِمى مَكةَ يقولُ الأستاذ العقاد : إن كثيرين مِنَ المسلمينَ لم يَدْخلوُا الإسلامَ بالسيفِ ،ولكنَّهم تَعَرَّضُوا لسيوفِ قُرَيشٍ وقَسْوَتِهِم بسَببِ إسلامِهِم واحْتَملوا السيفَ فى سبيلِ اللَّه .

٢ ـ واضْطَهدتْ قريشٌ المسلمينَ بمكَّةَ اضْطِهاداً قاسِياً ، وأنْزَلتْ بمحمدٍ وأتْباعِه ألواناً من العذاب ، وفى وَسَطِ هذا العَنَاءِ كان أهلُ المدينةِ يَسْعَوْنَ للإسلامِ وَيْعَتنقُونَه و يَدْعُونَ له ذَوِيهم وأهلهم ، فهل يمكنُ أن نقولَ إنَّ الإسلامَ انْتَشرَ بالقُّوةِ بينَ سكَّانِ المدينة ؟

٣ ـ جاء الصَّليبيُّونَ إلى الشرق فى فَتْرةِ ضَعفِ الخلافةِ العباسية وكانوا يَقْصِدُون مَحْوَ الإسلامِ والقضاءَ عليه ، وإذا بالإسلام يَجْذِبُ جموعاً منهم ، فيدْخلونه و يُحاربون فى صُفُوفِ المسلمينَ ، يقولُ توماس أرنُولد : « لقد اجْتَذَبَتْ الدَّعوةُ المحمَّدِيَّةُ إلى أحْضَانِها من الصَّليبيِّين عدداً مَذْكوُراً حتَّى فى العَهْد الأوَّلِ أىْ فى القَرْن الثانى عَشَرَ، ولم يَقْتَصِرْ ذلك على عامَّة النَّصارَى بل إنَّ بعضَ أمُرائِهم وقادَتِهِمْ

انْضَمُّوا أيضاً إلى المسلمينَ حتى فى سَاعَاتِ انْتِصاراتِ المسيحيين » .

ويَظهرُ أنَّ أخْلاقَ صلاحِ الدّينِ الأيُّوبيِّ ملكِ مصر والشامِ وقائدِ المسلمين آنذاك كَانَ لها تأثيرٌ سِحْرىٌّ على الصليبيينَ ، فقد رَأَوْا فيه سَمَاحةً رائعةً جَعَلَتْ الكثيرين من الفُرْسانِ المسيحِيِّين يَهْجُرونَ دينَهُمْ وقَوْمَهم ويَدْخُلُون الإسلامَ .

فهلْ يُمْكِنُ أن نقولَ إنَّ الإسلاَم إنتشَر بين الصِليبيينَ بالقوة ؟

٤ ــ فى القرنِ السَّابعِ الهِجرىِّ هَاجَم المغُولُ الجانَبَ الشرقِىَّ من العالَمِ الإسلامىِّ ، وكانَ هجومُهُم وحشياً قاسياً مُدَمِّراً ، سَفَكوا الدِّماءَ فسالَتْ أنهاراً ، وحطَّموُا مظاهِر الحضارةِ الإسلاميةِ ، وهَدَمُوا القُصورَ والمساجدَ ، وأحْرقُوا الكتبَ وقَتَلُوا العلماءَ ، وامتدَّتْ أيْدِيَهم إلى الخليفةِ فَقَتَلوه وقَتَلوا معه أهْلَه ، وأزالوا الخلافَةَ العباسِيَّةَ سنة ٦٥٦هـ

وأصْبَحَتْ للمَغُول اليدُ العُلْيا ، وهَوَتْ أمامَهُم كلُّ قُوى المسلمينَ فى عاصمةِ الخلافةِ وما حَوْلَها .

ولكِنْ سَرْعَانَ ماجَذَبَ الإسلامُ إليه أكثرَ هؤلاء الفَاتِحين الْغُزاة، فدخلَ عددٌ كبيرٌ من المغولِ الدينَ الذى هاجموه وعَمِلوا على تَقْوِيضِه. فهل يمكنُ أنْ نقول إنَّ الاسلامَ انتشرَ بين المَغُولِ بالقوة؟

يقول سِيرْ توماس أرنُولْد فى ذِلك: «لا يَعْرفُ الإسلامُ مِنْ بَيْنِ مانَزَلَ به من خُطُوب وَوَيْلات خَطْباً أعْنَف قَسْوَةً من غزوات المغولِ، فلَقَد انْسَابَتْ جيوشُ جَنْكِيز خاَن، واكْتَسَحَتْ فى طريقِهَا العَوَاصمَ الإسلامية وقَضَتْ عَلَى ما كانَ بها من مَدَنِيَّةٍ وحَضَارةٍ، على أن الإسلامَ لَمْ يَلْبَثْ أنْ نَهَضَ من رَقْدَتِه، وظَهَرَ من بين الأطْلاَلِ، واستطاعَ بواسِطَةِ دُعَاتِه أن يجْذِبَ أولئكَ الفاتحينَ البَرابِرةَ و يَحْمِلَهُمْ على اعْتِنَاقِه».

٥ــ وأينَ الدَّمُ فى غَزَواتِ الرسول ؟ .

إن الإحصاء الدَّقِيقَ الذى يَعْتَمِدُ على ماأوْرَدَه ابنُ هشام نقلاً عن ابن إسحق بالنِّسْبَةِ لعددِ الشُّهداء فِى الغَزَواتِ وأسمائِهم. وعَدَدِ قَتْلَى المشركينَ، يبيِّن أنَّ شهداء المسلمين فى جميع الغَزَوَاتِ كانوا ١٣٩ شهيداً،

وقَتْلَى المشركينَ فى جميعِ الغزواتِ كانوا حوالى ١١٢ قتيلا ، وتوزيعهم على الغزوات كالآتى :

الغزوة	شهداء المسلمين	قتلى المشركين	ملاحظات
بدر	١٤	٧٠	
أُحد	٧٠	٢٢	
الخندق	٦	٣	
بنو المصطلق	—	٣	
خيبر	١٩	—	لم يدخل اليهود هذه الاحصائية فلهؤلاء حكم آخر بسبب خيانتهم
مؤتة	١٤	١٤	بعضهم من المشركين وبعضهم من نصارى العرب والروم
حنين	٤	—	لم يذكر ابن هشام قتلى للمشركين
الطائف	١٢	—	فى هاتين الموقعتين
تبوك	—	—	لا حرب ولا ضحايا
المجموع	١٣٩	١١٢	

وهذا العَدَدُ الضئيلُ يَقْطَعُ الألْسِنَةَ التى تَقُول إنَّ الإسلامَ انتشر بالقُّوة ، فمثل هذا العددِ وأكثرُ منه يَحْدُثُ فى معركةٍ بين قِبيلتَيْنِ أوْ بَيْنَ قريَتَيْنِ صَغِيرتينِ .

٦ ــ ويحدِّثُنا التاريخُ بصراحة ووضوحٍ أنَّ أهمَّ فترةٍ انتشر فيها الإسلامُ هى فترةُ السِّلمِ الذى تَلاَ صُلْحَ الحُديْبية بين قريشٍ والمسلمينَ وسنتكلَّمُ عنه فى جزءٍ آخَرَ، وكانت فترةُ السِّلْمِ سَنَتَيْن ، و يقول المؤرِّخون إن مَنْ دَخَلَ الإسلامَ فى خلال هاتينِ السَّنتَيْنِ أكثرُ مِمَّنْ دخلوه فى المدَّةِ التى تَقْرُبُ من عشرين عاماً منذ بَدْء الإسلامِ حتى الصلحِ . وهذا يدلُّنا على أنَّ انتشارَ الإسلامِ تَبِعَ السِّلْمَ ولم يَتْبَع الحرب .

٧ ــ وهناكَ فكرةٌ مهَمَةٌ يجدرُ بنا أن نُوَضِّحَها تماما ، ويجدرُ بالقارىءِ أن يَتَفَهَمَها ، تلك الفِكرةُ هى أنه لاعِلاقَةَ بين انتشارِ الإسلامِ و بين حروب المسلمين مع الفُرْسِ والرُّوم ، فقد كانتْ الحروبُ تَشْتَعِلُ ، وكان المسلمونَ يَنْتَصِرون ، ثم تَتوقَّفُ الحَروبُ وتَتوارَى السيوفُ . وحينئذ يتقدَّمُ الدُّعاةُ والمعلِّمون فيشرحونَ نُظُمَ الإسلامِ ومبادِئَه .

وكانتْ هذه الدعوةُ السَّمْحَةُ تَجْذِب لها الناسَ وبخاصةٍ عندما رأتْ الشُّعوبُ المغلوبةُ الفَرْقَ الكبيرَ بَيْن حُكْمِ قيصر وطُغْيانِه ، وبين بَسَاطَةِ عمرَ بنِ الخطَّاب وسماحَتِه وتَوَاضُعِه ، وبالدَّعوةِ دَخَلَ الناسُ أفواجاً فى الدِّينِ الجديدِ ، فمنهم مَنْ أسْرَعَ فى الدُّخولِ ، ومنهم مَنْ دَخَل بعدَ عامٍ أو خمسة أعوامٍ أو عشرةٍ أو مائةٍ . .

ويقول KIRK: إنَّ غَالبِيَّةَ أهلِ الشامِ ومصْرَ السُّفْلى فى القرنِ التاسعِ الميلادِيِّ كانَتْ لاَتَزالُ مسيحيةً على الرَّغْمِ مِنْ أنَّ الإسلامَ كان قد مَضَى عليه فى هذه البقاعِ أكثرُ من قَرْنَيْن . ونضيفُ أن مِنْ سكَّانِ مصرَ والشامِ مَنْ لم يدخلْ الإسلامَ حتى الآنَ ، وتَسْتطيعُ أن تَرَى اليومَ الآلافَ أو الملايينَ من المسيحيِّينَ فى مِصْرَ وسوريا وغيرِهما من البلادِ الإسلاميَّة .

مرةً أُخرَى لاعلاقَة بين انتشارِ الإسلامِ وبين الحُروبِ .

وأوْضَحُ من هذا ماذكره ROLAND OLIVER من أنَّ الإسلامَ لم يأخُذْ طريقَه خَلْفَ الصحراءِ بإفريقية إلابَعْدَ انْحلاَلِ دولتِه الكبرى فى المَغْرب . وكانتْ وسيلةُ

الإسلامِ لهذه البقاعِ هي الثَّقافةُ والفِكْرَ والدَّعوةَ ، فانْتَشَرَ الإسلامُ بين شُعوب البربرِ ، وقامتْ خَلْفَ الصحراءِ دولٌ إسلاميةٌ لَعِبتْ في التاريخ دَوْراً كبيراً .

٨ ــ وانْتَشَرَ الإسلامُ انتشاراً واسعاً فى إندُونيسيا ومَاليزْيا وفى إفريقية ، بدُونِ جيوشٍ تزْحَفُ لتلك البقاعِ فأَيْنَ القُوَّةُ التى نَشَرَتْهُ فى هذِه البلادِ الفسيحةِ وجَذَبَتْ له قلوبَ الملايين ؟

كيف انتشر الإسلام فى إندونيسيا :

وكاتِبُ هذه السطُورِ عاشَ فى إندُونيسيَا عدَّةَ سنين ، ورَأى بنَفْسِه الإسلامَ وهو يَنْتَشِرُ بين الإندونيسيِّين بيُسْرٍ وبَسَاطة ، رآه وهو يَهْزِمُ الديانات الأُخْرَى والأفكَارَ المتُعَدِّدَةَ و يتقدَّمُ إلى الطَّليعَةِ لا تَدْفَعُه إلا مَبادِئه السَّمْحَةُ وتعاليمُه المعقُولةُ الماديَّةُ البَسيطَةُ ، فقد رأيتُ فى إندُونيسيا صراعاً بين الأديان والأفكار ، كلٌ منها يُريدُ أنْ يكونَ أسْرَعَ وصولاً إلى قُلوبِ الإندُونيسيِّين ، ولكلٍّ منها وَسَائلُ وطُرُقٌ تعملُ على تحقيقِ هذه الغَايَةِ .

فقد كانتْ المسيحيةُ يساعِدُها أو قُلْ يَفْرضُها بَطْشُ المُسْتَعْمِر ومَالُه ورِجَالُه .

والكُنْفُوشِيَّةُ يساعِدُها ملايينُ الصِّينيِّينَ الذين يقيمون في إندونيسيا ، وتدفعُها الثَّرْواتُ الضَّخْمَةُ التى يَمْلِكها هؤلاء الصينيُّون .

والهندُوكيَّةُ والبوذيَّةُ تساعدُهما صِلاَتُ الهندِ بإندونيسيا ، تلك الصلاتُ الثَّقافِيَّةُ والحضَاريَّةُ التى تضْرِبُ في أعماقِ التاريخ .

ورأيتُ الإسلامَ تَدْفَعُه مبادِئُهُ و يرعاه الله ، يعلِّمه عربٌ هاجروا من بلادِهم النائيةِ في حَضْرَمَوْت بثقافة محدودة و بدونِ مالٍ ولا سُلْطانٍ على الإطلاقِ ، أو يعلِّمُه إندونيسيُّونَ يَنْطَبِقُ عليهمْ وَصْفُ العرَبِ في فَقْرِهم وقِلَّةِ سُلطانهم .

فماذا كانت نتيجةُ هذا الصراعِ ؟

أما الكُنْفُوشِيَّةُ فقد خَرَجَتْ صِفْرَ اليَدَيْنِ ولم تَجذِبْ إليها فَرْداً واحداً تقريباً من أبْنَاءِ إندونيسيا .

وقَنِعَتْ الهندُوكيةُ والبوذيَّةُ بنصيب ضئيلٍ حَصَلَتْ عليه غالباً قبلَ زَحْف الإسلامِ .

وجَـذَبَتْ مدارسُ المَسيحيين ومُسْتَشفياتُهم ووظائفُهُمْ عَـدَدًا قليلاً لايتجَاوَزُ المليونين ، وأغلبُهُمْ سَقَطُوا فى المسيحيَّةِ مَـخْـدُوعِين ، فالطِّفلُ يَدْخُلُ مَدرسةً مسيحِيَّةً وَ يَتلقَّى تعـليمَ هـذِه الـدِّيـانـةِ ثم يَخْرُجُ مسيحيًّا ولا يعرفُ غيرَ المَسيحِيَّةِ ، والمـريضُ يـشـتـركُ فى الـصـلـواتِ والأَدْعـيـةِ التى تُقَامُ فى الـمُـسْـتـشـفـياتِ وليسَ له إلا الاشْتِرَاكُ أو الطَرْدُ ، وهكذا دَوَالَيْك.

أمـا الإسـلامُ فـقـد سـارَ وتَـسَـرَّبَ فى الـنُّـورِ و بـالدَّعوةِ الـسِّـلْمِيَّةِ إلى أَكْثَرَ من تِسْعينَ فى المائةِ من سُكَّانِ إندونيسيا وهم حوالى مائة وخمسين مليوناً .

وكيف انتشر الإسلام فى افريقية :

أمـا انْـتِـشَارُ الإسلامِ فى إفريقية فَنَدَعُ الحديث عنه إلى شـاهـدٍ عِـيَـانٍ آخـرَ ، ذلـك هـو الكَاتِبُ المسيحىُّ الفرنسىُّ هُـوبيرْ ديـشـانْ حـاكِمُ المستعمراتِ الفَرَنْسِيَّةِ بإفريقيةحتَّى سنة ١٩٥٠ وهو يقول :

« إنَّ انـتـشارَ دعوةِ الإسلام بإفريقيةلَمْ يَقُمْ على الْقُوَّةِ ، وإنمـا قـامَ على الإقْـنَـاعِ الذى كانَ يقوُم به دعاةٌ متفرِّقونَ لا

يملِكونَ حَولاً ولا طَوْلاً إلا إيمانَهم العميقَ بدينِهم ، وكثيراً ما انْتَشَرَ الإسلامُ بالتَّسرُّبِ السِّلْميِّ البَطِيء من قومٍ إلى قوم ، فكان إذا اعْتَنَقَتْه الارستقراطيَّةُ وهى هَدَفُ الدعاةِ الأوَّلُ تَبْعَتْها بقيةُ القبيلةِ،وقد يسَّرَ انتشارَ الإسلامِ أمرٌ آخرُ هو أنَّهُ دينُ فِطْرةٍ بطَبيعَته ، سَهلُ التناوُل ، لالَبسَ ولا تَعْقِيدَ فى مَبادئِه ، سهلُ التَّكَيُّف والتطبيقِ فى مُختَلِف الظُّروفِ ، ووَسائلُ الانْتِساب إليه أيْسَرُ وأيْسَرُ، إذ لا يُطْلَبُ من الشخصِ لإعلانِ إسلامِهِ سِوى النُّطقِ بالشَّهادَتَيْنِ حتى يُصْبِحَ فى عِدَادِ المسلمين ، وقد حبَّبَ الإسلامَ إلى الإفريقيينَ مَظاهِرُه البعيدةُ عن التَّكلُّف مِثْلُ الثَّوْب الفَضْفَاض ، والمِسْبَحة ، والكِتَابة العربيَّةُ (إذْ لم تكنْ هناك لُغةُ كتابةٍ عندَ أكثر القَبَائِل) ، والوقارُ الدينى ، وشعائرُ الصلاةِ ، مما يُضْفِى على المسلمِ مكانةً مرموقةً وجاذبيَّةً ساحرةً ويجعلُه موصوفاً بالصِّدْقِ والأمانةِ » .

وفى عام ١٩٧٣ أعْلَنَ الرئيسُ البير برْنار بُونْجو رئيسُ جمهوريَّة جَابُون أنَّه اعْتَنَقَ الإسلامَ بَعْدَ أن دَرَسَه وتعرَّف على مابه من اتجاهات ونُظُم ، فكان هذا دَفعةً جديدة للزحف الإسلامى السِّلْمِيِّ بإفريقية .

أسبابُ الحروب بين المسلمين وغيرهم

لقد اتَّضحَ لنا أن انْتِشارَ الإسلامِ كان بالدَّعْوةِ والحِكْمَة والموْعِظةِ الحَسَنةِ ، فلماَذَا قامتْ الحروبُ بيْنَ المسلمين وغيرهم فى عهد الرَّسولِ و بَعْدَ عهدِ الرسول ؟

الإجابةُ على هذا يُمْكنُ حَصْرُها فيما يَلِي :

١ ــ **الدِّفاعُ عن النَّفسِ :** يقرِّرُ التاريخُ أن المسلمين قبلَ الهجرةِ لم يُؤْذَنْ لهم بقتال،وقد ضُرِبَ عَمَّارٌ و بِلالٌ و ياسرٌ، وضُربَ محمدٌ وأبو بَكْرٍ، وماتَ ياسِرٌ تحت العَذَابِ ، ولم يَرْفَعْ هؤلاء أيدِيَهم لردِّ الاعْتداءِ الذى وَقَعَ علَيْهم ، ولكنَّ المشركين أسْرَفوا فى ذلك وَوَصَلوُا إلى حدِّ تَقْريرِ قَتْل محمَّد ، وكانَ المسلمون كُلَّما هَمَّتْ نُفُوسُهم لردِّ الظُّلْمِ ، أو تَطَلَّعَتْ إلى القِصَاص من الظالمين رَدَّهُمْ رسولُ اللهِ إلى الصَّبْرِ وانتظارِ أمْرِ اللّٰه قائلاً : لَمْ أُومَرْ بِقتالٍ ، لم أُومَرْ بقتال .

فلما أَفْلَتَ محمدٌ من قريشٍ وأَفْلَتَ منهم المسلمون بالهجرةِ إلى المدينة ، وَضَعَ المشركونَ خُطَّتَهم على أن يَقْضُوا

قَضاءً عاجِلاً على المدينةِ حتَّى تَتَخَلَّصَ الجزيرةُ العربيَّةُ من الإسلامِ والمسلمين . فكانَ من الضَّروريِّ أن يُدافِعَ المسلمون عن أنْفُسِهم ، فَأَذِنَ اللهُ لهم بالدِّفاعِ قال تعالى :

« أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وإنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الذينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنا اللهُ »

(سورة الحج الآية ٣٧)

وَهَكَذَا كانَ السَّبَبُ الرئيسيُّ للقتال هو الدِّفاعُ عن النَّفس والعِرْضِ والمالِ .

وَهَنَا يَبْدُو مَوْضوعٌ مُهِمٌّ يتَّصِلُ بالحَبَشَة ، تلك البِلادِ التي ليستْ بعيدةً عن الجزيرةِ العربيَّةِ ، والتي للمسلمين بها عَهْدٌ منذُ مَطْلَعِ الإسلام ، فقد هَاجَرُوا إليْها ، كما ذكرنا في جُزْءٍ سابقٍ، والموضوعُ المُهِمُّ هو أنَّ المسلمينَ لم يُهَاجموا الحبشةَ ، لأنَّ الحبشَةَ لم تَمَسَّهُمْ بسُوءٍ ، وَلَوْ كان المقصودُ نَشْرَ الإسلامِ بالقُوَّةِ لهَاجَمُوها ، فَهِيَ أَقَلُّ قوةً من الفُرْسِ والرُّوم .

وقد يُقَالُ إنَّ البَحْرَ حَمَى الحبشةَ مِنْهُمْ ، والجوابُ سَهْلٌ ، فقد مَلَكَ المسلمون بَحْرِيَّةً قَوِيَّةً هَاجَمُوا بها

القُسْطَنْطِينيَّةَ وسَيْطرُوا بوَاسِطَتِها عَلَى أَهمِّ جُزُرِ الْبَحْرِ الأبيضِ المتوسِّطِ ، ولكنَّهم لم يَتَّجِهُوا للحَبَشَةِ ، فما كانتْ أعمالُ المسلمينَ الحربيَّةُ إلاَّ دفاعاً ورَدًّا لإعْتِدَاء .

٢ ــ تَأْمِينُ الدَّعوةِ وإتاحَةُ الفُرْصةِ للضُّعَفاءِ الذين يُرِيدُونَ اعْتِنَاقَها :

كانت الدَّعوةُ الإسلاميةُ مهدَّدَةً ، وكانتْ قريشٌ تَسْلُكُ كلَّ السُّبُلِ للقَضَاءِ عليها ، ثم كانَ كثيرٌ من سكَّان مكة ومنَ العربِ يَميلونَ للإسلامِ و يُريدونَ الدُّخول فيه ، ولكنَّهم كانوا يَخافونَ أَنْ يَنْزِلَ بهم مانَزَلَ بمن سَبَقُوهم إلى الإسلامِ من عذاب وإيذاء ، حتى اضْطُرَّ كثيرونَ مِمَّنْ أَحَبُّوا الإسلامَ أن يَعْتَنِقُوه سرًّا دونَ أن يُعْلِنُوا ذلك ، وفى هؤلاء نَزَلَتْ الآيةُ الكريمةُ « وَلَوْلا رِجَالٌ مؤمنونَ ونساءٌ مؤمناتٌ لم تَعْلَمُوهُمْ أنْ تَطَأُوهُمْ فَتُصِيبَكُم منهمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ..

(سورة الفتح الآية ٢٥)

فَأَذِن الله لرسوله وللمؤمنين أَنْ يَحْمُوا الدَّعوةَ و يُؤَمِّنوا مَنْ يَدْخلُ فيها ، قال تعالى : (وَمَالَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فى سَبيلِ الله والمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ والنِّساَءِ والوِلْدَانِ)

(سورة النساء الآية ٢٥)

٣ ــ الدِّفاعُ عن الدَّوْلَةِ الإسلاميةِ حتىَّ لا تُدكَّها جُيوشُ الفُرْسِ والرُّوم :

قَبْلَ الإسلامِ لم تَكُنْ هناكَ أُمةٌ عربيةٌ ، وإنما كانتْ هناكَ قَبَائلُ عربيةٌ مُتَحاربةٌ مُتَنافِرةٌ ، ولذلِك لم يَكُنْ الفرس والرُّوم يُقيمُونَ حِسَاباً للعَرَب ، إذْ كَانَ العربُ داخلَ جزيرتهم يَصْطَرِعُونَ صِرَاعاً يكَادُ يكونُ مُتَّصِلاً ، وعلى هذا غَضَّ الفرسُ والرومُ بَصَرَهم عن الجَزيرةِ العربية لأنها لم تُكَوِّنْ وحدةً يُمْكِنُ أن تُصْبِحَ خَطَراً على الدوْلَتَيْن المُجاوِرَتَيْن : الفرس والروم .

فلما جاءَ الإسلامُ آمَنَ به بعضُ العربِ وكَفَرَ به آخَرُون ، وقام نِزَاعٌ عَنيفٌ فى الجزيرةِ العربيَّةِ بين المسلمين وَغيرِ المسلمين (قريش واليهود) ، وفى هذه الْمَرْحَلَةِ لم يَهتَمَّ الفرسُ والرومُ أيضاً بهذا الدين الجديد ، وقالوا إنَّها حَرَكَةٌ قَامَ بها عربيٌّ وسَيَقْتُلُها العربُ واليهودُ ، وظنُّوا أنها نَوْعٌ من الصِّرَاعِ بين القبائلِ العربية لايَلْبَثُ أن يَمُوت .

ولَكِنْ سَرْعانَ مابَدَأَ الإسلامُ يَنْتَصِرُ على أَعْدَائِه ويَنْتَشِرُ بين العرب ، وسرعانَ ماتكوَّنَتْ فى الجزيرة العربيةِ دولةٌ قَويَّةٌ

متَّحدةٌ ، و بالإضافةِ إلى قوّتها واتّحادها كانتْ لها مَبادِىءُ الدين الجديد الذى اجْتَمَعَ العربُ حَوْلَه ، والذى استَلْزَمَ الدعوةَ له ، وقد فوُجِىء كِسرى وقَيْصَرُ بحقِيقةٍ خَطِيرة هى أن الرَّسولَ أرْسَلَ لهما يَدْعُوهما للإسلامِ فى العامِ السَّابِعِ للهجرةِ ، و يَدْعُو قَوْمَهُما كذلك ، واعْتَقدَ الْمَلِكانِ أن محمداً لم يَقْنَعْ بتأسيس دولةٍ عربيّةٍ ، وإنّما أخَذَ يَطْمَعُ فى مدّ سُلْطانِه إلى أرْضِهما .

وظَهَرَ الذُّعْرُ والخَوْفُ فى نفوس الفرسِ والرومِ ، فقد أصْبَحَتْ الجزيرةُ العربيةُ منافِساً خطيراً ، قويًّا متّحِداً ، وأصبَحَتْ دولةٌ لها دينٌ ولها مبادئُ ، وهى تَعْمَلُ على نَشْرِ هذا الدّين وإذاعةِ أخْبَاره واكتِسَاب الأنْصار إليه ، ومن أجْلِ هذا دَخَلَ الفرسُ والرومُ الْمَعْرَكةَ ، وقَرَّرَتَا ضَرُورةَ القضاءِ على الدّوْلةِ الإسلامية الجديدة والقَضَاءِ على الوحدَةِ التى تكوَّنَتْ عندَ العرب ، وقد بَدَأ ذلك العُدْوانُ والرَّسولُ صلى الله عليه وسلم لايَزَالُ حَيًّا :

الروم والعدوان على المسلمين :

يُروَى أنّه فى سنة ٦٢٧ م (السادسة للهجرة) أسْلَمَ فَرْوَةُ ابنُ عُمَرَ الجُذَامِيُّ عاملُ الروم على عَمّان ، وأرسلَ مع مَسْعُود

ابن سَعْد الجذامى بَغْلاً أَشْهَبَ وفَرَسًا وحماراً ، وأَقْمِصَةً كتَّانيَّةً وعَبَاءةً حريريَّةً هَدِيَّةً للنبىِّ ، فلما بَلَغَ الرُّومانَ ذلك حَاوَلُوا إِقْناعَهُ لَيَرْتَدَّ عن الإسلامِ فأَبىَ . فما كانَ منهم إلاَّ أَنْ أَلْقَوْا القَبْضَ عليه وسَجَنُوه ثم صَلَبُوه على ماء يُقالُ له (عفرى) بفلسطين .

وفى سنة ٦٢٩ (٨ هـ) أَوْفَدَ النبىُّ جماعةً قِوامُها خَمْسَةَ عَشَرَ رجلاً إلى حدودِ شَرْق الأُرْدنِ لَيَدْعُوا الناسَ إلى الإسلام فَخَرَجَ عليهم جَمْعٌ غَفِيرٌ فى مكان يُقَالُ له (طلَّة) بين الكَرْكِ والطَّفِيلَةِ وقتلوهم كلَّهم إلا واحداً لاَذَ بالفِرَارِ .

وكانتْ تَجَمُّعاتُ الروم تُهَدِّدُ المسلمين دائماً حتى كان المسلمون يَتَوَقَّعُونَ هُجومَ الروم عليهم كلَّ لحظةٍ ، ومما يَدُلُّ على ذلك أن صحابيًّا فى أثناءِ حياةِ الرسول دَقَّ بابَ عُمَرَ بن الخطابِ فى ليلةٍ وعُمَرُ نائِمٌ ، فهبَّ عُمَرُ مِنْ نومِه مَذْعُورًا وهو يقول : مَاهَوَ؟ أجاءتْ غَسَّان ؟ (حُلَفاء الروم)

وفارس تعتدى على المسلمين :

وكما تَحَرَّشَ الرومُ بالمسلمين تحرَّش بهم الفرسُ أيضاً ، فالتَّاريخُ يَرْوِى لنا أَنَّ القبائلَ المُوَالِيةَ للفرسِ كانتْ تَوَالِي

الإغـارَةَ على أرض المسلمين ، ولم تَكُـنْ حربُ المسلمين مع الفرسِ إلا امتداداً للدفاعِ الذِى قامَ به المسلمِونَ لِيَحْمُوا أَنْفُسَهم وذَوِيهم من هؤلاءِ الْمُغِيرِين .

ومثل هذا يُقالُ عن المتمرِّدين عَلىَ الدولة الإسلامِّية وهُمْ المُتنبِّئُون والمُرْتَدُّونَ ومانعو الزكاة الذين ثَاروا فى عهد أبى بكر، فإنَّ الفرسَ والرومَ ساعدُوا هؤلاء المُتمرِّدين وأمَدُّوهم بالسِّلاح والمال والرِّجالِ ، ولما انْهزَمَ هؤلاء لَجَئُوا إلى أرْضِ الفرسِ والرُّوم ، ولذلك يُقَالُ إنَّ الحربَ مع الفرسِ والرومِ كانتْ امتداداً للحرب ضدَّ المتَنبئِين والمرْتَدِّين ومانِعِي الزكاة .

الصراع ليس ضدَّ الشعوب :

على أنَّ الحروبَ لم تكنْ فى الحقِيقةِ مع الشُّعوبِ ، وإنما كانَتْ معَ قيْصر وكِسْرى وجُيُوشِهما ، هؤلاءِ الجَبَابرةِ الطّغاةِ الذين كانُوا يَقِفُون حاجزاً يَحُول بين الناسِ و بين الدِّين الجديدِ فلما سَقَطَ هذا الحاجزُ بَدَأَتْ الشُعُوبُ التى كانت خاضعةً مغْلوُبةً على أمرِها ، تُفَكِّرُ فى الإسلامِ وتُقْبلُ عليه ، وتَسْتَعْذِبُ الحرِّيّةَ فى ظِلاَله .

الزحف الإسلامي حركة تحرير:

و يَتَّجِهُ البحثُ الحديثُ إلى اعتبار الزَّحف الإسلاميّ ضدَّ الفرسِ والرومِ ليس إلا حَرَكَةَ تحريرٍ قامتْ بها القبائل العربيةُ لصالح الشُّعوبِ العربيةِ المُستعمَرةِ التي كانَتْ خاضعةً للاستعمار الفَارِسيّ أو الرُّومانيّ .

السلام لمن سالم المسلمين :

وَمَبادئُ الإسلامِ واضحةٌ في أنَّ أيَّ قتال إنما هُو لردِّ عُدوان كما سبق ، وكان على المسلمين أَنْ يَلْجئوا للسَّلْم إذا لَجَأَ له أعْداؤُهم ، قال تعالى « وإنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فَاجْنَحْ لها وَتَوَكَّلْ عَلَى الله »

(سورة الانفال الآية ٦١)

و يقولُ الله تعالى كذلك : « فإنْ اعتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وألقَوْا إليكم السَّلَمَ ، فما جَعَلَ اللهُ لكُمْ عَلَيْهِمْ سَبيلاً » .

(سورة النساء الآية ٩٠)

وقد سارَ الرسولُ على هُدَى هذه الآيةِ الكريمةِ فنَراه يَخْرُجُ لُملاَقَاةِ الرُّومِ عندما بَلَغَهُ أنّ جُمُوعَهم تجمَّعت على أطْراف

الجزيرة ، وأنَّها تُريدُ الهُجُومَ ، فلمَّا وَصَلَ إلى تَبُوك وَجَدَ أن جيوشَ الرومِ تَرَاجَعَتْ فلم يُفكِّرْ فى مُهَاجمةِ الرومِ ، وإنما عَادَ أدْراجَه إلى المدينة .

وهكذا انْتَشَر الإسلامُ بالدَّعوةِ ، ولَمْ يتَّجهْ المسلمون للحَربِ الاَّ لردِّ عُدْوَانٍ أو تأْمِينِ مُضْطَهَدٍ .

وفى ضُوءِ هذا الوَضْعِ نَخْطُو خُطْوةً جَدِيدَةً للحديث عن الغَزَوَاتِ فى عَهْدِ الرسولِ .



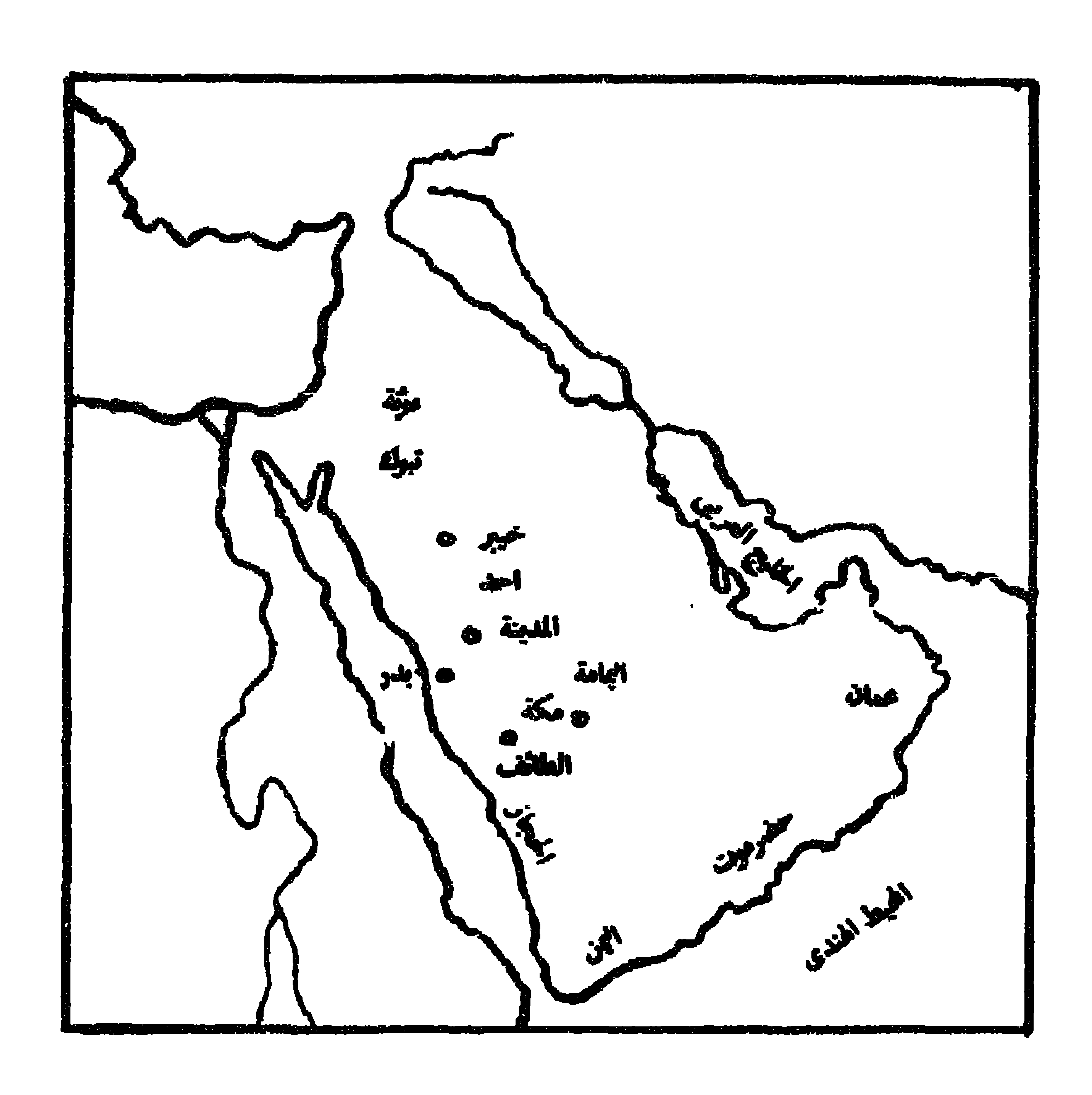
الغَزَوَاتُ والسَّرَايَا

الغَزْوَةُ والسَّرِيَّة :

تُطْلَقُ الغَزْوَةُ على الجيش الذى قَادَه الرسولُ بنفسه لِمُقابلةِ عَدوٍّ، سواء حَصَلَ قتالٌ أوْ لم يَحْصُلْ ، أمَا السَّرِيَّة فتُطْلَقُ على جيش وَكَلَ الرسولُ عنه نائباً لرياسته . وهذا اصطلاحٌ غالِبٌ ، فقد تُطْلَقُ كلمةُ « غَزوة » على ماهو فى الحقيقة سَرِيَّة ، كغزوة مُؤْتة .

والأَصْلُ أن « السَّرِيَّة » هى التى تمشى خِفيةً من السُّرَى وهو المشى ليلاً .

وَ يَقُولُ المؤرخون إنَّ الرسولَ اشْتَرَكَ فى سبع وعشرين غزوةً وقاتلَ فى تِسْعٍ منها ، وإنه أَرْسَلَ مايقْرُب من ستِّينَ سَرِيَّةً ، ولانزاعَ أنَّ بعض هذه لم يكنْ بعيدَ الخَطَرِ ولم يَذْكُرْ عنه المؤرخون معلومات كافيةً ، ولذلك سنَكْتَفِي هنا بالحديثِ عن الغَزَوَاتِ والسَّرايا ذاتِ الأثرِ فى سَيْرِ الإسلامِ وتقدُّمِ المسلمين (انظر الخريطة) .



مواقع أشهر الغزوات

غزوةُ بدرٍ الكُبْرَى

زمنها : فى السابع عَشر من رمضانَ من السنةِ الثانيةِ للهجرةِ .

مكانها : عند بئرٍ بين مكةَ والمدينةِ ، وكانتْ البئرُ مملوكةً لرجلٍ اسْمُه بدرٌ فسُمِّيَتْ باسْمِه .

مقدمة :

فى شهرِ إبريل سنة ١٩٧٧ أُتِيحَ لى أنْ أَزُورَ مَوَاقِعَ هذه الغزوةِ ، وأنْ أَرَى بئرَ بدرٍ التى لايزالُ ماؤُها يَنْدَفِعُ ، ورأيتُ كذلك المكانَ الذى دَارَتْ فيه المعرَكةُ بين الحقِّ والباطل ، والمكانَ الذى دُفِنَ فيه شهداء بُدْرٍ ،وقرأْنا لهم الفاتَحِةَ وبعضَ سُوَرٍ من القرآن الكريم ، كما رأَيْنا المسجدَ الذى يُقَالُ إنه بُنِيَ فى مكانِ العَرِيش الذى كان الرسولُ يُدِيرُ منه المعركةَ .

ولقد تَخَيَّلْتُ وأنا هناك أبطالَ المسلمين الأُوَلَ وهم

يَسْخَرُونَ من قوّةِ أعدائِهم و يُقابلونَهم بقلوبٍ مِلْؤُها الإيمانُ ، فيُنزِلونَ بهم بعونِ الله أَفْدَحَ هزيمةٍ .

مـا أحْـوجَنا قادةً وشعباً إلى التعرُّفِ على أمجادِ السابقين لننْتَصِرَ على شَرَاذمِ البَشَرِ من الصَّهاينَةِ الذين اغْتَصَبُوا الديارَ وهاجَموُا الدِّمار .

سَبَبُ غزوة بدر:

إنَّ غـزوة بـدر كانتْ نتيجةً طبيعيّةً للهجرة إلى المدينةِ ، فقـد أرَادَتْ قُرَيشٌ أن تقتُلَ محمداً وهو بمكة ، ولكنَّ محمداً نجا مـن هـذه المؤامَرَةِ وهاجَرَ إلى المدينةِ ، وأصبحتْ المدينةُ مركزًا إسلامياً حرًّا طليقاً ، وهذا المرْكَزُ بالإضافةِ إلى تهديدِه لأوْثَانِ قـريش ، يُهَدِّدُ تجارتَها الصاعدةَ والهابطَةَ بين مكّةَ والشامِ ، وإذا نجحَ المسلمون فى تهديدِ تجارَةِ قريشٍ ، وحَبَسُوا تُجّارَ مكـةَ بحيثُ لايصعَدون للشمالِ ، فالوَيْلُ والبوارُ لهؤلاء التجارِ ولتجارتِهم .

ومِنْ أجْلِ هذا أصَرَّتْ قريشٌ على أنْ تَقْضِيَ على هذا المركزِ الجديدِ الذى يهدِّدُ حياتَها الدينيةَ والاقتصاديةَ جميعاً . وراحتْ تُعِدُّ العُدّةَ لزحفٍ يَكْتَسِحُ من الطريق هؤلاء الذين يُريدون أن يَرْبِضُوا فيه .

هذا من جهةِ قريشٍ ، وأما من ناحيةِ المسلمين فإن تاريخَهم يقرِّرُ أنهم احتَمَلوا ألواناً من الضَّغْطِ والعُدْوانِ إبَّانَ إقامتِهِمْ فى مَكَّةَ ، فلما اشْتَدَّ عليهم الطغيانُ تركوُا ديارَهم وأموالَهم ، وهاجَروُا بدِينهِم إلى المدينةِ ، ولكنَّ قريشًا لاحَقَتْهُم ، ودبَّرَتْ الوسائِلَ للقضاءِ عليهم بالمدينةِ حتى لا يهدِّدُوا تجارَتَها وحتى لايَسْتَمِرُّوا فى ذَمِّ آلهة قريشٍ ، فوجدَ المسلمون أن القوَّةَ هى الطريقُ الوحيدُ لحمايتهم بعد أن عَجَزَتْ كلُّ الطرق السِّلْمِيَّة لمنْحِهم هذه الحمايةَ .

وهكذا يَرَى الباحثُ أن الأمْرَ قد أصبحَ بحيثُ صارتْ المعركةُ هى الشئَ الوحيدَ الذى يَحْسِمُ الأمرَ، وأنَّ هؤلاء وأولئك استقرَّ رأيُهم على النزولِ إلى ميدانِ القتالِ ، ليحدِّد ذلك الميدانُ نتيجةَ هذه الخُصومةِ الطويلةِ .

القافلة وأموال المسلمين المغصوبة :

وحَدَثَتْ حادِثَةٌ صغيرةٌ يمكْن أنْ نُسَمِّيَها (القشَّة التى قَصَمَت ظهرَ البعيرِ) تلك هى حادثةُ قافلةِ قريشٍ االتجاريةِ ، التى كانت عائدةً بتجارتِها من الشامِ إلى مكةَ ، وكان يقودُها أبو سفيان بنُ حرْبٍ ، فقرَّرَ المسلمون أن يَعْتَرِضُوا طريقَها

لِيُثْبِتُوا لقريش قوتهم ، ولينالُوا من أموالهم إنْ أمْكَنَ ذلك ، نَظِيرَ أموالِ المسلمين التى سَلَبَتْها قريشٌ عقبَ هجرتِهم من مكةَ إلى المدينةِ ، إذ كانَ المشركون قد اسْتَوْلَوْا على أموالِ مَنْ هاجَرَ من المسلمين ، حتى أنَّ الرسولَ عندما عادَ مُعْتَمِرًا فى العامِ السابعِ سألَهُ أسامة : فى أىِّ المنازلِ تَنْزِلُ ؟ فأجاب : وَهَلْ تَرَكَ لنا عُقَيْلٌ منزلاً ؟ نحن نازِلون بوادِى كِنَانةَ-فقد كان عقيلٌ بن أبى طالب قد استولَى على منزلِ الرسولِ و باعه (رواه البخارى ومسلم) .

وعلى هذا خَرَجَ المسلمون لِمُلاَقَاةِ القافِلَةِ ، ولكنَّ أبا سفيانَ عَلِمَ بخروجِهم عن طريق عُيونِه وجَوَاسِيسهِ الذين كانوا يتقدَّمونَ القافِلةَ ، فأرسلَ إلى مكةَ يطلبُ من قريش أن تُسْرِع لحمايةِ أموالها التى يُريدَ المسلمونَ أنْ يأخذُوها ، فَخَرَجَ جيشُ قريشٍ ، وكانَ عدَدُهُ حوالىْ الألفِ فيهم أبطالُ قريش وعظماؤُها . وفى الوقتِ نَفسِه استطاعَ أبو سفيانَ أن يَسْلُكَ طريقاً غَيْرَ الطريقِ الذى قَصَدَه المسلمون ، وأن يتَّجِهَ محاذياً البحَرو يَنْجُوَ بتجارتِه .

الجيشان يَتقَابَلانِ :

أقْبَلَتْ تجارةُ قريشٍ كما قلنا ، ولكنَّها فى الحقيقةِ لم تكُنْ

الهدفَ الأساسيَّ الذى تحرَّك له الجيشانِ ، ولو كانتْ الهدفَ الحقيقيَّ لعادتْ قريش بَعْدَ أنْ نَجَتْ تجارتُها ، ولَعَادَ المسلمون بعد أن يَئِسُوا من الاسْتيلاءِ على هذه التجارةِ ، وعلى كلِّ حالٍ فقد أَفْلَتَتْ القافِلَة التجاريّةُ ولكنَّها تَرَكَتْ فى وادِى بدرٍ جَيْشَيْنِ على أُهْبَةِ القتالِ . وكلٌّ مِنْ هذين الجيشين تَدْفَعُه عواملُ عميقةٌ ليعملَ جاهِدًا رجاء أن يَقضِىَ على الجيش الآخرِ، وكلٌّ من هذين الجيْشَيْنِ يُدْرِكُ ألاَّ طُمَأْنينَةَ له ولا هُدوءَ ، وهناك الجيشُ الآخرُ يتربَّصُ به ، حتى أصبحتْ المسألةُ قضيَّةَ حياةٍ أو موْتٍ .

تَعَالَ بنا نَسْتَعْرِض بإيجازٍ الدوافعَ الحقيقيةَ التى كانتْ وراء كلٍّ من هذين الجيشين :

فمن ناحيةِ قريشٍ أصبحتْ شكُوكُهُم حَقَائِقَ مُؤْلِمةً لهم ، لقد كانُوا يخافونَ هِجرةَ المسلمين ظنًّا منهم أنَّ المسلمين سَيَعْتَرِضُونَ تجارتهم و يهَدِّدُون حياتَهم الاقتصاديةَ . فأصبحَ هذا الشكُّ حقيقةً واقعةً ، فإن محمداً ما كادَ يستقرُّ بأصحابه بالمدينةِ حتى خَرَجَ بهم و بَدَأَ يهدِّدُ القوافلَ التجاريةَ ويحاولُ الاستيلاءَ عليها ، ولذلك لم يَكُنْ هنالك بُدٌّ من أنْ تحاربَ قريشٌ المسلمينَ لتَقْضِىَ عليهم ولتُعِيدَ الأمنَ لطُرُقِها التِّجاريةِ .

ولا يـزالُ هُـتـافُ الأصنـامِ يَـدَوِّى فى عـقولِ قـر يشٍ ، و يَـحُثُّهم على الانْتِقامِ لآلِهتِهم التى أوشكَ أن ينتصِرَ عليها إلهُ المسلمين .

وكان أبو جهلٍ من القادةِ فى جيشِ قر يشٍ ، وعداوةُ أبى جـهلٍ للإسلامِ قديمةٌ وعميقة ، ورثها عن عَمِّه الوَليد بن المغيرة صاحـبِ الـثَّرْوةِ الـضَّـخْمَةِ التى تحدَّث عنها القرآنُ الكريم فى الآيـات : « وجَعَلْتُ له مالاً ممدوداً ، و بَنينَ شُهُودًا ، ومَهَّدْتُ لـه تـمْهيداً) (سورة المدثر الآيات ١٣ ــ ١٤) فمن الضرورى لأبـى جَـهـلٍ أن يَـحْـرُسَ أَفْـكـارَهُ وأفـكـار عَمِّهِ ، ومَالَه ومالَ ذَوِيه ، وأىُّ حِـرَاسَةٍ أهمُّ من القضاء على العدوانِ الذى جَثَمَ فى الطر يق يَهَدِّدُ التجارة الهابطةَ والصاعدةَ ؟

وفى المـعسـكـر الآخَـرِ بـوادِى بـدْرٍ كان يَقِفُ ٣١٤ رجلاً بـعـضُـهـم مـن الأنـصـار الذين تَتَعَرَّضُ مدينَتُهم لهجوم غادر ، وأكـثَرُهُم من المهاجر ينَ الذين كَظَمُوا الغَيْظَ سنينَ طو يلةً ، واحْـتَمَلُوا الاعتداء المتَّصِلَ المتَلَوِّنَ بمكةَ ، ثم هاجروا إلى المدينةِ تاركينَ المالَ والأهلَ ، وإذَا بجيوشِ قر يشٍ تُلاَحِقُهم .

هـل كـان مـن الـمُـمكِنِ أن يَرْتَدَّ هذانِ الجيشانِ مع هذه الدّوافِعِ دونَ قتال ؟

الجوابُ . لا ، وهَذَا ما كانَ .

وَصْفُ الجَيْشين :

بَيْدَ أَنهُ فى هذِه المُوَاجَهَةِ بَرَزَ شىءٌ جديدٌ ، هو عَدَمُ التَّكافُؤِ بينَ الجَيْشَينِ المتقابِلَيْنِ من ناحيةِ العَدَدِ والعُدَّةِ ، ومن ناحية الاقتصادِ ، ومن ناحية الحَمَاسِ ، ومن ناحية التأييدِ العامِّ .

فمِنْ ناحيةِ العَدَدِ كان جيشُ المسلمين ٣١٤ وجيشُ قريش حوالى الألف .

ومن ناحية العُدَّة كان جيشُ قريشٍ أكثر استعدادًا وأقوى أسْلِحَةً .

ومن ناحيةِ الاقتصاد كان جيشُ المسلمين مُثْقلاً بتَبِعَاتٍ جِسَامٍ ، فإنَّ المدينةَ لم يَكُنْ من السَّهلِ عليها أن تُؤْوِىَ المهاجرِيَن كلَّهم ، وتُمِدُّهم بالحاجاتِ الضروريةِ فى تلك الفترة الوجيزةِ من هجرتِهم حتى مطلع هذه المعرَكة . وفى الجانبِ الآخَرِ كان اقتصادُ مكةَ راسخاً قوياً يُمِدُّهم بما تحتاجُهُ المعاركُ من سلاحٍ وطعامٍ و وسائل مختلفة .

ومن ناحيةِ الحماسِ كانتْ قريشٌ قوةً صاخِبةً يُحْسَبُ لها ألفُ حِساب ، تُزَمْجِرُ وتَتَلَهَّفُ على النَّيلِ من المسلمينَ ،

ولم يَكُنْ سهلاً على القِلَّةِ المسلمةِ أن تواجهَ هذه الزَّمْجَرَةَ وهذَا الصَّخَبَ .

وكانت قريشٌ تحظَى بتأييدِ كافَّةِ العَرَبِ ضِدَّ المسلمين الذين كانوا يُعَدُّون فى نظر الكثيرينَ متمرِّدِينَ على الوثَنِيَّة المألوفةِ .

عَوْنُ اللهَ :

وهنا تَتَدَخَّلُ يَدُ الله لتَرْجَحَ الكِفَّةُ التى كانتْ شَائلةً ، ولِتَقْوَى الجماعةُ التى أحسَّت الضعفَ ، وفى سورة الأنفال آياتٌ كريمةٌ تصوِّر حالةَ المسلمينَ ، كما تصوِّرُ قُوَّةَ اللهِ وهى تَدْخُلُ المعركةَ فترجِّحُ جانبَ المسلمين على جانبِ قريش ، قال تعالى :

ــ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُمْ بِأَلِفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ .
ــ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إلى المَلاَئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ ، فثَبِّتُوا الذين آمنُوا ، سأُلْقِى فِى قلوب الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ .

والناظرُ فى هذه الآيات يرَىَ عَوْنَ الله الذى تمثَّل فى إرْسَال ملائكة تُقَاتِلُ فى صُفُوفِ المسلمين ، وَتَمَثَّلَ كذلك فى تَطْمِينهم وتبشيرِهم بالنصر.

وَمِن أخبارِ هذا نُقَرِّرُ أن قوّةَ الله كانتْ فى المعركةِ وبها تَحقَّقَ النَّصْرُ قال تعالى :

«فَلَم تَقْتُلوهُمْ ولكنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ ، وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكِنَّ اللهَ رَمَى » (سورة الأنفال الآية ١٧)

محاولاتٌ لمنع الحربِ :

وتُحَدِّثُنا الرواياتُ التاريخيَّةُ عن بعضِ الجُهُودِ التى بَذَلَها حكيمُ بن حِزَامٍ وآخرونَ لِمنْعِ الحرب ، ولكنَّ هذه الجهودَ توقَّفَتْ بسبب إصرارِ أبى جَهْل وأمثالِه على الحربِ .

التَّحدِّى والمبارَزَة :

وسَرْعَانَ مابَرزَ من قريشٍ ثلاثةٌ يُعَدُّونَ من خِيرَةِ أبطالِها ، وهم يَنْتَسبُونَ إلى مَحْتِدٍ رفيع وأرُومَةٍ عَرِيقةٍ ، وهم فى الوقت نفسِه أساطينُ بيت واحد ، أولئك هُم : عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ وابنه الوليدُ وأخوُه شَيْبَةُ،وعُتْبَةُ هذا هو جدّ مُعَاوِيةَ بنِ أبي سُفيانَ لأمِّهِ ، فهو أبُو هِنْدٍ ، والوليدُ أخُوهَا ، وشَيْبَةُ عَمُّها . وقد انْخَلَعَ هؤلاء الأبطالُ من مُعَسْكَرِ قريشٍ واتَّجَهُوا إلى الفراغِ الذى يَفْصِلُ بين الجيشينِ وصَرَخُوا فى المُعَسْكَرِ الإسلامىّ : مَنْ يُبارِزُ؟ .

ولم يَكُنْ من الممكن أن يَحْتَمِلَ المسلمونَ هذا التَّحَدِّيَ . وهُمْ الذيَن هانَتْ عليهم الدُّنيا . وَضَحَّوْا بأغْلَى مافيها ، بالمال والبنينَ من أجْلِ العقيدةِ ، وحينئذ اختارَ الرسولُ من مُعْسكَره ثلاثةً قريبي الصلةِ به ، وقدَّمَهُمْ للمُبَارَزَةِ ، وكانَ هؤلاء عمَّه حَمْزَةَ وابنى عمَّه عُبَيْدةَ بنَ الحَارثِ وعليَّ بنَ أبى طالب .

ودارَ صراعٌ عنيفٌ بين هؤلاء الأبطالِ الستَّةِ ، وثار الغُبارُ وكَثُفَ حتى لم يَعُدْ الناسُ يَستطيعونَ رُؤْيَةَ المتبارزينَ ، وكانَ لمعانُ السُّيوفِ يَبْدُو للناس بينَ الغُبار كأنَّهُ البَرقُ بينَ الغمامِ ، وكانتْ صيحاتُ الأبطالِ تَشُقُّ الفَضَاءَ الصَّامتَ حَوْلَهم بعد أن خَيَّم على الناس الوُجُومُ والحَذَرُ، ثم انْجَلَتْ الموقعةُ عن قَتْلِ المشركين الثلاثة : قَتَل عليٌّ قِرْنَه الوَليدَ ، وقتلَ حمزةُ قِرْنَه عُتْبةَ ، وسَقَطَ شيبةُ بسيوفِ الثَّلاثة ، وعاد حمزةُ وعليٌّ سالِمَينِ وأُصِيبَ عُبَيْدَةُ بجراح بليغةٍ ماتَ بها

المعركة :

وصارتْ تلك المبارَزةُ عاملاً كبيراً يدعُو للحرب ، فرؤيةُ الدَّم أثارتْ الحمِيَّةَ والحماسةَ فى الجَانِبَيْنِ ، وهزيمةُ

أبطالِ قريشٍ كانَتْ العارَ كلَّ العارِ، وبَنُو عبدِ شَمْسٍ أصحابُ العيرِ والنَّفيرِ الذين يُضْرَبُ بهم الْمَثَلُ فى القوَّةِ ما كانَ لهم أن يعُودوا فى ذَلك الجَوِّ من الخِزْيِ والهزيمةِ .

وعلى هذا الْتَقَى الجيشانِ ، ودَارَ صراعٌ مريرٌ، بينَ القوَّةِ فى جانبِ قريشٍ ، والعقيدةِ فى جانبِ المسلمين ، بَيْنَ اعتداءِ المشركين ودفاعِ المسلمينَ ، أو قُلْ بينَ جماعةِ قريشٍ التى تَسْتَطيعُ أن تعيشَ إنْ انْهَزَمَتْ أو انْتَصَرَتْ ، وبينَ المسلمين الذين كانوا يُدركونَ أنَّهُمْ إن انهزَمُوا فمعنى ذلك فَنَاؤُهم والقضاءُ عليهم وعلى الدِّينِ الذى اعْتَنَقُوه .

وفى ضوءِ هذه الدَّوافِعِ سَجَّلَ المسلمونَ انتصاراً باهراً . ومزَّقُوا شَمْلَ عدوِّهم ، وقَتَلُوا سبعينَ من خِيرةِ أبطالِهم فيهم القائدُ أبُو جهلٍ ، الذى أَجْهَزَ عليه عبدُ الله بنُ مسعود ، وفيهم كذلك أميةُ بنُ خَلَف الذى خَرَّ بسيف بلالٍ ، فانْتَقَمَ بذلك بلالٌ لنفسه من التَّنْكِيل الذى عَانَاهُ قَبْلَ الهجرة من أُمَيَّة بن خلف سالف الذكر.

أما المسلمون فَسَقَطَ منهم أربعةَ عَشَرَ شهيداً ، وأُسِرَ من المشركينَ جلةٌ من عُظمائِهم فَدَوْا أَنْفُسَهم بالمالِ وغير المال صَاغِرِينَ ، وكانُوا على وشْكِ أن تُضْرَبَ رقابُهم لولا

سماحةُ محمدٍ وشفاعَةُ أبى بكر، ولم يُقْتَلْ من الأسرَى إلا اثنانِ هما النضر بْنُ الحارثِ وعُقْبَةُ بن أبى مُعيط ، فقد كَانَا شديدَىْ السُّخْرِيَةِ والإيذاءِ للرسولِ وللمسلمينَ فى مكةَ .

أهمِّية غزوةِ بدر:

من المُمْكنِ أن نقولَ إنَّ غزوةَ بدر هى الغزوةُ الوحيدَة التى انتصَر المسلمون فيها انتصاراً حقيقياً ، وقد سَقَطَ من المسلمين عَدَدٌ كبيرٌ فى غزوةِ أُحُدٍ ، وأحاطَ بهم الأحزابُ فى غزوةِ الخندقِ حتى أصابَتْهُم ألوانٌ من العناء ، وانْسَحَبُوا فى غزوة مُؤْتَةَ .... ولكنَّ ذلك لم يُضْعِفْ شوكَتَهم بعدَ أن رَسَخَتْ أقدامُهم بالانتصار الذى أحْرَزُوه فى غَزْوةِ بدر ، وكان الرسولُ صلى الله عليه وسلم يُدْرِكُ أهَميَّةَ هذه الغزوةِ تَمَامَ الإدراكِ ، ولذلك كان يَهْتِفُ مناجياً ربَّه والمعركةُ تَدُورُ: ياربِّ ، إنْ تهْلِكْ هذه الطائفةُ فلن تُعْبَدَ فى الأرض .

ومن هنا تَتَّضِحُ أهميَّةُ هذه الغزوةِ ، تلك الأهميةُ البالغةُ التى كانت أساساً متيناً لمستقبلِ الإسلامِ ، ولذلك سمَّاها القرآن الكريم « يوم الفرقان » قال تعالى : (**وَيَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**) (سورة الأنفال الآية ٤١) و يُسمِّيها

المسلمون « غزوة الفرقان » لأن الله فَرَقَ بها بيَن الحقِّ والباطل .

ومنْ أجل هذا اهتمَّ المسلمون بذكْرَى هذه الغزوة ولا يَزالُونَ يحتَفلونَ بها فى كثيرٍ من بُلدانِ العالَم الإسلاميِّ حتى اليوم .

وقد سُمّى كلُّ مَنْ حَضَرهَا من المسلمين « بَدْرِياً » وكانت هذه التسميةُ شَرَفاً لايعدِلُه شَرَف .

ولو هُزِمَ المسلمون فى هذه الغزوةِ لكانَ من المحتمل أن يَتَغَيَّر وجهُ التاريخ ، كما أشارَ لذلك حديثُ الرسولِ الذى أوردناه آنفا ، وقد كان عونُ الله أكبرَ أسبابِ النَّصْرِ الذى أحرَزَه المسلمون ، وقد سجَّلَ القرآنُ الكريمُ عونَ الله فى الآيةِ الكريمةِ **(ولقد نَصَرَكم اللهُ ببدرٍ وأنتمْ أذِلَّةٌ)** **(سورة آل عمران الآية ١٢٢)** .

ومن أهَمِّ آثار غزوة بدر أنَّ اليهودَ أزْعَجَهُمْ انتصارُ المسلمينَ فأخذُوا يصغِّرُون من شأنَ هذا الانتصار حتى لايَغْتَرَّ به المسلمون ، وقد أدَّى ذلك إلى إخراج بنى قَيْنُقاع من المدينَةِ كما ذكرنا ، كما أدركَ اليهودُ أن هزيمَة قريش تُحَتِّمُ على اليهود أن يَدْخُلوا الميدانَ مُحاربِينَ بعد أن ضَعُفَ

أملهم فى أن قريشاً تستطيعُ وَحْدَها القضاءَ على الرسولِ وعلى الدِّينِ الذى جَاء به كما ذكرنا عندَ حديثِنَا عن « اليهود والمسلمون » .

مِنْ أَحْدَاثِ غزوةِ بَدْرٍ

نهاية أميةَ بنِ خَلَف وابنه على :

قُبَيْلَ نهايةِ غزوةِ بدرٍ أَدْرَكَ أميةُ بنُ خَلَف هو وابنه علىٌّ أَنَّ الدَّائِرَةَ دَارَتْ عَلَى قريشٍ ، فأَلْقَيَا نفسَيْهما أَسِيرَيْنِ فى يَدَىْ عبدِ الرحمن بن عَوْف ، وأَطْمَعاه فى فِدْيةٍ واسعةٍ ، واستَجاب لهما عبدُ الرَّحمن ، ولكن بلالاً مؤذِّنَ الرسولِ رآهما فصاحَ :

رَأْسُ الكُفْرِ !! لانَجَوْتُ إِنْ نَجا .

وكانَ أُميَّةُ يعَذِّب بلالاً بمكةَ أقسَى العذاب ليخرجَه مِن الاسلامِ ، ولكنَّ بلالاً احتملَ فى سبيلِ الله ، وجاء الدَّور لبلالٍ ليَثْأَرَ لنفِسه فى هذه الغزوةِ ، وتَجَمَّعَ آخَرونَ من المسلمينَ مَعَه ، وحاوَلَ عبدُ الرحمن أن يَحْمِىَ أسيرَيْه ، ولكنَّ بلالاً وأعوانَه تكاثَرُوا على أمية وابنِه ، وقَضَوْا عليهما .

حمزةُ فى بدر:

عندما ألقى أميةُ بن خلف نفْسَه أسيراً فى يد عبدِالرحمن بن عوف ، وقبْلَ أنْ يَقْتُلَه بلالٌ ، سَألَ أميةُ عبدَالرحمن قائلا :

مَنْ الرجلُ مِنْكُمْ المَعَلَّمُ برِيشةِ نَعامَةٍ فى صَدْره ؟

فأجابَ عبدُالرحمن : هو حمزة بنُ عبدِالمطَّلب

قال أميةُ : ذلك الذى فَعَلَ بنا الأَفاعِيلَ .

المسلمون قتلوا أقارِبَهم المشركين فى بدر:

ذكرنا فى جزءٍ سابقٍ أنَّ أبا عبيدةَ بْنَ عبدِالله بن الجرَّاحِ قَتَلَ أباه فى غَزْوَةِ بدرٍعِندما رَأى أنَّ أباه يَتَصَدَّى له ويحاول قتلَه ، ولم يكنْ ذلك هو المِثَالَ الوحيدَ لِقتْل الأقارب ، فيُرْوَى أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قَتَلَ خاله سعيدَ بنَ العاصِ ، وكَانَ سعيد من سراة قريشٍ وسادتِهم ، وقتلَ على بن أبى طالبِ نوفلَ بن خُوَيْلِد خالَ زوجتِه السيدةِ فاطمةَ بنتِ الرسول ، وفى هؤلاءِ قال تعالى « لا تَجِد قَوْماً يؤمِنونَ بالله والْيَوْمِ الآخِرِ، يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَه ،

وَلَوْ كانوا آبَاءَهُمْ أو أبْنَاءَهُمْ أو إخْوَانَهم أو عشيرتَهُم ، أُولَئِكَ كَتَبَ فى قلوبِهِمْ الإيمَانَ وأيَّدَهُمْ بروحٍ منه .

(سورة المجادلة الآية ٢٢)

الرسول يوصِى بِعَدَمِ قَتْلِ بعضِ قريشٍ :

طَلَبَ الرسولُ صلواتُ اللهِ عليه إلى المسلمينَ أنْ يَتَحَاشَوْا بِقَدْرِ الإمْكانِ قَتْلَ بعضِ القُرَشِيِّينَ الذين كانوا فى صفوفِ المشركين يَوْمَ بدر، وكَانَ ضِمْنَ هؤلاء بَنُو هاشمٍ - لِشِدَّةِ ما عانوا مع المسلمينَ وَهُمْ يَحْمُونَ محمداً فى مكة ، ولأنَّ بعضَهم كان مُسْلِماً يَكْتُم إسلاَمَهُ بأمر الرَّسول لِيَظَلَّ عَيْناً للمسلمين ، وكان بِضِمنَهُم كذلك أولئك الَّذين بَذَلوا جَهْداً لِنقضِ صحيفةِ الْمُقاطَعَةِ حينما كان المسلمون فى الشِّعْبِ يعَانُونَ الفَاقَةَ والجُوعَ .

مصائِبُ أبى سُفْيان وزوجَتِهِ فى بدر:

كانَتْ مصائِبُ أبى سُفْيانَ وزَوْجته « هند » فى غزوةِ بدرٍ مصائِبَ شديدةً قاسيةً ، فقد قُتِلَ عُتْبَةُ بنُ ربيعةَ سيِّدُ قومِهِ والِدُ هند ، كما قُتِلَ عمُّها شَيْبَةُ وأخُوها الوليدُ ، وابنُها حَنْظَلَةُ بنُ أبى سفيان ، وأُسِرَ عمرو بنُ أبى سفيان فلما

طُلِبَ إلىَ أبى سفيان أن يَفْتَدِى ابنهَ عمراً قال : أيُجْمَعُ عليَّ دمِى ومالى ؟ قَتَلُوا حنظلَة وأَفْدِى عمراً ؟

وحَدَثَ أن ذَهَبَ شيخٌ مسلمٌ اسمُه سَعْدُ بن النعمانِ إلى مكةَ معتمراً ، فأخذَه أبو سفيان وحَبَسَه وقال . لا أُطْلِقُه حتَّى يُطْلِقُوا عمراً ، وذَهَبَ أهل سعدٍ للرسولِ وطَلَبوا منه أن يُعْطِيَهُم عمراً ليَفْتَدُوا به صاحِبهَم ، فاسْتَجابَ لهم الرسول .

نهاية أبى لهبٍ :

كان أبُو لهبٍ قد تَخَلَّفَ عن مَعْرَكَةِ بدر، وأرسلَ مكانَه العاصِىَ بنَ هشامٍ بن المُغيرةِ ، وكَانَ أبو لَهبٍ يَجْلِسُ قَلِقاً ينتظر الأخبارَ، فرأى أبا سُفْيان بنَ الحارثِ عائداً مِن المعركةِ ، فقالَ له أبو لهب : هلمَّ إلىَّ ، فَجَلَسَ إليه أبو سفيان وأحَاطَ الناسُ بهما ، فقالَ أبو لهبٍ : يا ابنَ أخِى ، أخبِرْنى كيف كانَ أمْرُ الناس .

فأجابَ الرجلُ : واللهِ ماهوَ إلاَّ أنْ لقِينا القَوْمَ حتَّى مَنَحناهم أكتافَناَ فأخذوا يَقْتلونَ و يَأْسِرُون كيفَ شاءُوا ، وأَيْمُ اللهِ مع ذلك مالُمْتُ الناسَ ، لقد كانَ مع محمدٍ رجالٌ بيضٌ على خَيْلٍ بُلْقٍ بينَ السماءِ والأَرْضِ ، والله ماتُبْقِي

شَيْئاً ، ولا يقوم لها مُعَارِضٌ .... فاغتمَّ أبو لهبٍ وقامَ مولِّياً ذليلاً ، وما عاشَ بعدَ ذلكَ إلا سَبْعَ ليالٍ ، ثم مات .

و يقَالُ إنَّه مات بمرَضٍ مُعْدٍ جَعَلَ الناسَ يَتَحاشَوْنَ لَمْسَ جُثْمانِه بعدَ مَوْتِهِ ، فجذبوه بِفِراشِه ودَفَعُوه بالعِصِيِّ إلى حُفْرَتِه .

كعبُ بنُ الأشرَفِ يحرِّض للثأرِ:

كان كعبُ بن الأشْرَفِ أعظَمَ شُعرَاء بنى النَّضيرِ وكانَ يَهْجو الرسولَ والمسلمينَ و يُشَبِّبُ بالحرائرِ (يتغزَّلُ فيهنَّ) ، و بَعْدَ بدرٍ ذهبَ إلى مكةَ ، وهناك أخَذَ يندُبُ قَتْلى قريشٍ و يحرِّضُ على الأَخْذِ بثأرِهم .

وأحس المسلمون خَطَرَ هذا الرَّجل فاتَّجهتْ الأنظار لِلْقَضَاءِ عَليه .

وَتقَدمَ لذلك مَحمد بن مَسْلَمةَ الأنصاريُّ و بعضُ رِفاقِه فَدَبَّرُوا خطَّةَ لِقَاءٍ مع هذا اليَهُودِيِّ وقَضَوْا عَلَيْهِ .



غزوة بدرٍ وتعاليمُ الحروبِ فى الإسلام :

وَضَعَتْ سورةُ الأنفال التى نَزَلَتْ فى هذه المعركةِ أدقَّ التعاليم الإسلاميةِ لِلحروبِ ، ومن هذه التعاليم ما يلى :

ـ الاستعدادُ لِلقَاء العدُوِّ بكلّ ما يَنْبَغِي من أُهْبَةٍ ، قال تعالى : (وأَعِدُّوا لَهُمْ ما استَطَعْتُمْ من قُوَّةٍ ومنْ رِبَاطِ الخَيل تُرْهِبُونَ به عَدُوَّ اللهِ وعدُوَّكم) . (الانفال ٦٠)

ـ الوحدةُ وعدمُ التنازعِ والشِّقاقِ ، قال تعالى (وأطيعُوا اللهَ ورَسُولَه ولا تَنازَعوا فَتَفْشَلوا وتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ، واصبرُوا إنَّ اللهَ مع الصَّابِرِين) (الانفال ٤٦)

ـ الثَّباتُ فى المعركةِ حتَّى النِّهايةِ بحيثُ يكونُ المسلمُ كالطَّوْدِ الأَشَمِّ ، يَنتَصِرُ أو يُقْتَلُ وهو يُصارِعُ ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ الذينَ كَفَرُوا زَحْفاً فلا تُوَلُّوهُمْ الأَدْبارَ ، ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقتالٍ أو مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ من اللهِ ومَأْواهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المَصِيرُ) . (سورة الانفال الآيتان ١٥ ـ ١٦)

ـ إذا اشْتَدَّ بالمسلمينَ الأَمْرُ والمعركةُ تَدُورُ فَلْيَذْكُرُوا اللهَ ، فإنَّهُمْ يَقْوُونَ بذكْره ، قال تعالى (يَا أَيُّهاَ الذين آمَنُوا إذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فاثْبُتُوا واذْكُرُوا اللهَ كثيراً لعلَّكُمْ تُفْلِحُون) (سورة الأنفال الآية ٤٥)

غزوةُ بدرٍ والتشريع :

ارتبطتْ ألوانٌ من التّشريعاتِ الإسلاميّةِ السّاميةِ بغزوةِ بدرٍ، ونوردُ هنا من هذه التّشريعاتِ بعضَ النّماذجِ :

أولا ــ المشورة ، بأنْ ينزلَ الرئيسُ عَنْ رَأيه إلى رَأيِ المرءوسينَ إذا اتّجهتْ الأغلبيّةُ إلى رَأيٍ يخالفُ رأيَه ، فقد حَدَثَ فى غزوةِ بدرٍ أن أرادَ الرسولُ أنْ ينزلَ بجنوده مَنْزلاً ، فسألَهُ الحُبَابُ بن المُنذِرِ: هلْ أنزلَكَ اللهُ هذا المنزلَ أوْ هُوَ اجتهادٌ مِنْ عندِك ؟

فأجاب الرسولُ بأنَّه اجتهادٌ من عنده . فقال الحبابُ : أماَ إذْ كانَ الأمْرُ كذلك فلَيْسَ هذَا بمنزلٍ ، وأشار بمكانٍ آخرَ هو مكانُ بدرٍ، وارتَضَى المسلمون هذاَ المَكَانَ ، فَنَزَلَ فيه الرسولُ بجيشه .

ثانياً : تَحْذيرُ المسلمينَ مِنْ أنْ يتطلّعُوا للأهداف الماديَّةِ فى الحروب ، بل أنْ يكونَ هَدَفُهُمْ النَّصْرَ إعلاء لكلمةِ الله ، قال تعالى (وإذْ يَعِدُكُم اللهُ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ ، وتَوَدُّونَ أنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تكُونُ لَكُمْ ، و يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الحقَّ بكَلِماتِه و يَقْطَعَ دَابِرَ الكافِرِين .

(سورة الانفال الآية السابعة)

ثالثا ــ التَّشريعُ فى توزيع الغَنَائم وَقَدْ وَرَدَ ذلك فى قولِهِ تعالَى (واعْلَمُوا أنَّ ما غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فأنَّ للهِ خُمُسَهُ وللرَّسُولِ ولِذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِينِ وابنِ السَّبِيلِ) (سورة الأنفال الآية ٤١)

تلك هىَ غزوةُ بدرٍ وذلك حديثُها بإجمال ، إنَّها مِنْ مَعَالِم العَظَمَةِ فى التاريخ الاسلامىّ ، وموقفٌ بُطوليٌّ وَقَفَتْه قوةٌ صغيرةٌ فَسَحَقَتْ قُوَّةً عَاتِيَةً جبَّارةً ، وحَمَتْ الذِّمَارَ بعدَ أنْ عَجَزَتْ العدالةُ والسِّياسةُ عن الحماية .

وسَيَظَلُّ رِجَالُها قدوةً للشبانِ المسلمين الذين يُريدُونَ الخُلُودَ ولَوْ ضَحَّوْا بأنفسهم فى سبيلِ الدِّينِ والوطنِ ، فقد بَرْهَنَتْ غزوةُ بدرٍ على أنَّ إطالةَ العُمْرِ ليستْ ببضعِ سنوات يُضِيفُها الإنسانُ بالجُبْنِ ، فذلك هو الموتُ الحقيقىُّ ، وَكَمْ من أحْياء هُمْ فى الحقيقة أمواتٌ ، وإنَّما إطالَةُ العمر تكونُ بتحقيق هَدَف وخلودِ ذِكْرٍ ، فالموتُ لابُدَّ أن يَطْوىَ الشُّجاعَ والجَبَانَ ، والسَّعيدُ هو الذى يتغلَّبُ عليه بذِكْرٍ طيِّبٍ يَبْقى على مرِّ الزمنِ ، وستكونُ قُوةُ اللهِ دائماً مع المسلمين فى المعركةِ لو اتجهَ المسلمون للهِ وعَمِلوُا على نَصْرِ دِينه قال تعالى (إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ و يُثَبِّتْ أقدامَكُم) .

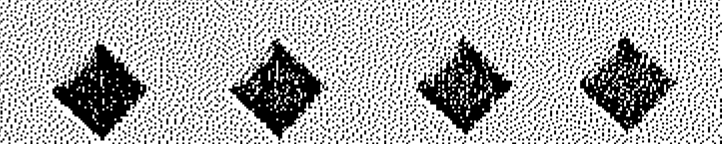
(سورة محمد الآية السابعة)

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠١/١١٤٥٩

I.S.B.N 977 - 01 - 7315 - 0





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى. كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة. وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكري والعلمى والأدبى وترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك

سعر رمزى خمسون قرشا   مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

